

## المقاومة السياسية في أدب الشيخ عبد الحميد بن بايس

الدكتور: زارقة الوكال

– المركز الجامعي أفلو – الأغواط

الملخص :

يُعدُّ الشيخ عبد الحميد بن باديس من أبرز المقاومين لسياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ولكنَّ مقاومته كانت بمنهج خاص ، ووسائل تغييره فاعلة ، فكانت هذه المقاومة تكنسي طابع الشمولية ، مَسَّ بها عمق الأزمة التي يعيشها مجتمعه ، فكان التعليم والصحافة ومنابر المساجد والنوادي ووسائل كفاح ومقاومة لتخليص شعبه وإيقاظه مما يتخبط فيه من جهل وفقر وتخلف وانحطاط ، والدفاع على هوية الشعب ومرجعية شخصيته وكيانه.

### Abstract :

The Sheikh Abdelhamid Ben Badis is considered as one of the leading resistant figures for the policy of French colonialism in Algeria, nevertheless he had a very special way of the resistance, and he also employed very influential and radical devices for change. Therefore, his resistance is exemplified by a totalitarian character as a result of touching by the depth of the crisis experienced by the community. The use of education, press, mosques, clubs for the cause of his people were the means of struggle and resistance to liberate his people from the clutch of ignorance, poverty, backwardness and degeneration, and defend the identity of the people and the referential of their personalities and their beings.

لقد شهدت الأمة الجزائرية عبر تاريخها صراعا حادا وشاقا بينها وبين أعدائها كان آخره تعرضها في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة 1830م لاحتلال استيطاني عاث في أرضها فسادا ، فأهلك الحرث والنسل ، وسعى بكل إمكاناته إلى طمس معالمها ، ومسح هويتها ، ومحو شخصيتها ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق كثير من أهدافه والوصول إلى غاياته ، بفضل رجال أشاوس وقفوا في وجهه متصدين ، صامدين ، صابرين ، مرابطين ، فدافعوا على هوية أمتهم وشخصيتها ، بالرغم من أن المنازلة بينهم وبين عدوهم لم تكن متعادلة ، فالعدو أقوى عددا وعدة ، وخططا واستراتيجية ، ولكن المقاومين له وإن اختلفت أساليب ووسائل مقاومتهم كانوا أقوى إيمانا وعزيمة ، وتمسكا بعدالة قضيتهم ، ومشروعية كفاحهم ، واتخذوا لمقاومته والتصدي لخططه وأهدافه كل الوسائل الممكنة والمشروعة.

ومن هؤلاء الرجال العظماء في أمتنا الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي قاوم الاستعمار الفرنسي بمنهج خاص ،

ووسائل تغييره فاعلة ، فكانت مقاومته تكتسي طابع الشمولية ، مسّ بها عمق الأزمة التي يعيشها مجتمعه ، وسعى من وراءها إلى تقويض أسس البناء الاستعماري في الجزائر ، وإعادة تشكيل البناء الحضاري للمجتمع الجزائري بإرجاعه إلى منابعه وأصوله العربية الإسلامية ، هذا البناء الذي عمل المحتل منذ غزوه للجزائر على مسخه وتشويهه والقضاء عليه .

وقد اتخذ الشيخ عبد الحميد بن باديس من التعليم والصحافة ومنابر المساجد والنوادي وسائل كفاح ومقاومة لتخليص شعبه وإنقاذه مما يتخبط فيه من جهل وفقر وتخلف وانحطاط ، والدفاع على هوية الشعب ومرجعية شخصيته وكيانه.

وكانت الصحافة من أبرز وسائل المقاومة عند ابن باديس فقد أولاهها مكانة خاصة فقد رأى فيها طريقا إلى توعية الشعب وتثقيفه ، ووسيلة لكشف الحقائق ، وتشخيص الواقع ، وتجلية الحلول ، وتبيين معالم الطريق التي يجب على الشعب أن يسترشد بها للوصول إلى محطة النجاة ، وبر الأمان. وأبرزت مدى المساهمة النضالية في وقف الزحف التغريبي للاستعمار الفرنسي في الجزائر. فقد ناضل أدب الصحافة الباديسية الإصلاحية بجميع أجناسه بصلابة عن عروبة الجزائر وإسلامها ، ووقف بالمرصاد لدعاة الجمود من جهة ، ولدعاة الاندماج والتجنيس من جهة أخرى ، وعمل على توجيه الجزائر وجمعة عربية إسلامية تتفق مع تاريخها وثقافتها وحضارتها العربية الإسلامية باعتبارها جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي. كما أنه فضح أهداف الاستعمار الماكرة ، وسياسته الخطيرة في تمزيق المجتمع الجزائري وتشتيته ، وتفكيكه وتجهيله لإبقائه في حالة تخلف وانحطاط ، فيسهل اقتياده وركوبه . كما كشف هذا الأدب بجميع أجناسه الأبعاد القريبة والبعيدة لسياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر الهادفة لطمس معالم الهوية والشخصية الجزائرية .

والى جانب هذا الدور الريادي للأدب الإصلاحي وعلى رأسه أدب الشيخ عبد الحميد بن باديس فقد أبرز مدى المساهمة التي قام بها رجال الإصلاح من علماء وأدباء ومثقفين في مقاومة الاستعمار ، وتهئية الشعب لمقاومته ، لأنّ بعض الجاحدين والمنكرين ينفون عن رجال الحركة الإصلاحية أيّ مساهمة في المقاومة والحفاظ على شخصية الشعب الجزائري ويعتقدون أن المقاومة كانت مقاومة فلاحين وعمال لم يسهم فيها المثقفون والعلماء إلّا بجهد قليل ومن مواقع بعيدة. ومن أبرز الأجناس الأدبية التي بدا فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس الخطابة والمقالة فبالنسبة للخطابة فقد اعتمدها من وسائله المتعددة في حركته المقاومة للاستعمار وتبليغ رسالته ونشر دعوته، فكانت وسيلته للاتصال بال جماهير وفي التجمعات والمؤتمرات العامة، فقد كان بموهبة خطابية فذة وله قدرة كبيرة على التأثير في الجماهير وإقناعهم بوجاهة

الفكرة التي يدعو إليها ويعمل من أجلها.<sup>(1)</sup> وإلى جانب ذلك فإن "ابن باديس" كان رجل ثقافة، ورجل دين، وزعياً سياسياً، ورجل صحافة، فقد كان كذلك رجل خطابة، وهو أخطب الناس في الجزائر على عهده، فقد كان فارسها المعلم وزعيمها المقدم، وقائدها البارح في الاستحواذ على قلوب المخطوب فيهم بما أوتي من مواهب عالية في إثارة المشاعر، وإيقاظ العواطف وتهيج القلوب<sup>(2)</sup>، ولقد كانت موهبته الخطابية إحدى عوامل نجاحه في جمع كلمة الشعب الجزائري حول المبادئ التي ينادي بها ويعمل من أجلها، وتوجيه الشعب توجيهاً عربياً إسلامياً، قضى على كل الانحرافات السياسية الإيديولوجية التي كان البعض من ضعاف النفوس والإيمان في الجزائر يدعون إليها كالتجنيس والاندماج والفرنسة<sup>(3)</sup>، وكان "ابن باديس" يرتجل في خطبه ولذلك وجدنا أن ما سجل منها قليل بالنسبة لنشاطه الخطابي الكثيف، فقد بلغ عدد الخطب التي خلفها مكتوبة ما يقارب الأربعة عشر خطبة منشورة في "الشهاب". أبرز من خلالها كثيراً من المواقف المصيرية بالنسبة للشعب الجزائري خاصة شخصيته وهويته ووجوده والدفاع عنها وعدم التهاون والمساومة والتفريط فيها مهما كلف ذلك من جهد وتضحيات في سبيلها. يقول في إحدى خطبه: "نعم نهضنا نهضة بنينا على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية لا يخشاها - والله- النصراني لنصرانيته، ولا اليهودي ليهوديته، بل ولا المجوسي لمجوسيته، ولكن يجب - والله- أن يخشاها الظالم لظلمه، والدجال لدجله، والخائن لحياته.

العروبة والإسلام، والعلم والفضيلة، هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا. ورمز نهضتنا. فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين، وتعلمنا اللغة العربية، وتبصرنا بالعلم، وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية، وتحفظ جنسيتنا وقوميتنا السامية. وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة ولن تزال كذلك بإذن الله ثم بإخلاص العاملين."<sup>(4)</sup>

أمّا المقالة عند ابن باديس فقد كانت سلاحه القوي في التأثير والإقناع والدفاع عن الأفكار والمبادئ، ولخطورتها وعظم شأنها وأهميتها لم يفوت فرصة استخدامها والنفوذ بها في أوساط الجماهير لتوعيتها وتربيتها والإصلاح من أوضاعها ويصف ابن باديس ذلك في افتتاحية أول عدد من "المنتقد" بالأمر العظيم "بسم الله ثم باسم الحق والوطن

<sup>1</sup> - تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2001م، ص.180.

<sup>2</sup> - عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983م، ص.63.

<sup>3</sup> - تركي رايح، م.م. س.، ص.181.

<sup>4</sup> - الشهاب، ج8، م13، ص357.

ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه - مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون و المبدأ الذي نحن عليه عاملون.<sup>(1)</sup>

ولقد شغل المقال السياسي حيزا كبيرا في الصحافة الإصلاحية ولعل ذلك راجع إلى الظروف التي مر بها الشعب الجزائري، فالأجواء العامة كانت غير مستقرة فكريا وسياسيا واجتماعيا بسبب ضغوط الاستعمار التي شملت الأفراد والجماعات من جمعيات وأحزاب، فكان المقال السياسي هو السلاح المعتمد من الأحزاب والجمعيات في نضالها وكفاحها ضد التواجد الاستعماري وسياسته القمعية. وقد عالج المقال السياسية الإصلاحية عدة قضايا سياسية فيها ما يتصل بالشؤون السياسية الداخلية وفيها ما يتصل بالسياسة الخارجية، ومن القضايا السياسية الداخلية التي عالجها المقالون الإصلاحيون مسألة التجنيس والاندماج التي أثارت جدلا بين المؤيدين والرافضين، فكان مجموعة من أولي الميول الفرنسية، ومن انقطعوا عن الثقافة العربية، ومن لم يكونوا، فيما يبدو، يعرفون من الإسلام إلا اسمه: ينضحون عن فكرة الإدماج ويرونها فرصة عظيمة لأن يذوب الشعب الجزائري في الكيان الفرنسي وينتهي من الوجود والتلاشي، غير أن الوطنيين والشخصيات الوطنية الكبيرة رفضت هذه المؤامرة الخبيثة، بل أفتى العلماء بتكفير المتجنس بالجنسية الفرنسية يومئذ، فيما يقال، فقيس على المرتد عن دينه...<sup>(2)</sup>، وسجلت جريدة "الشهاب" هذا الجدل والذي أثار ضجة كبرى في الصحافة الوطنية وحتى في بعض الصحف المغاربية، ومن الذين كان لهم سبق التحدث في المسألة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي وضع حدا للصراع في هذه المسألة بإبراز استحالة الاندماج بين الأمة الجزائرية والأمة الفرنسية، وأن للأمة الجزائرية ذاتيتها ومقوماتها ومميزاتها القلبية والعقلية والنفسية والتاريخية، وعلى فرنسا أن تفكر في إنصاف الجزائريين بإعطائهم حقوقهم المشروعة في الحرية والمساواة، وأن الأمة الجزائرية ملتزمة بالحفاظ على شخصيتها وعدم التنازل عنه، لأن التجنيس كما يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس يقضي علينا بالتسليم في حقوقنا الذاتية المأخوذة من شريعتنا الإسلامية، ومراعاة تلك الحقوق محتمة علينا بعقائدنا الدينية وهيئتنا الاجتماعية، فإن تركناها هدمنا أساس هيئتنا الشرعية مثل ما يهدم الفرنسيون مدينته المسيحية التي مضت عليها عشرون قرنا إن جرت عليه قواعد الشرع الإسلامي -

<sup>1</sup> - المنتقد، ع1، جويلية 1925م، عن تركي رابح، م. م. س.، ص. 249.

<sup>2</sup> - عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية، ج2، 2003م، الجزائر، ص. 133.

إن التناقض واضح بين الشريعتين إلى الآن ولا يزول هذا التناقض إلا بطول الزمان.<sup>(1)</sup> وفي مقال بعنوان: "الجنسية القومية والجنسية السياسية" يوضح "ابن باديس" الفرق بين الجنسيتين، فالجنسية القومية تقوم على اللغة والدين والتاريخ، والجنسية السياسية أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية، ويمكن لشعبين مختلفين في الجنسية القومية أن يتحدا إذا تناصفا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية" فأما إذا لم يرتبطا بالجنسية السياسية فلا بد لهما - مهما طال الأمد - من أحد أمرين إما أن يندمج أضعفها في أقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فيؤول أمره - ولا بد - إلى الانفصال.<sup>(2)</sup> وأراد صاحب المقال بهذا التقديم الوصول إلى أن الأمة الجزائرية هي أمة موجودة بمقوماتها ومميزاتها وهي من أشد الناس محافظة على جنسيتها القومية " وبعد فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية وأننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها وتشبثا بأهدافها وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن اندماجنا أو محونا.<sup>(3)</sup> ويعلل ذلك بقوله: " تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها ، كما تختلف الأفراد. فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات . وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعبر بها ويتأدب بآدابها. والعقيدة التي يبني حياته على أساسها . والذكريات التاريخية التي يعيش عليها ، وينظر لمستقبله من خلالها. والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات."<sup>(4)</sup> ويؤكد "ابن باديس" في مقال آخر على هوية الأمة الجزائرية المتميزة عن الأمة الفرنسية ورفضها للاندماج الذي لا تستطيعه وإن أرادت " ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وأخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، ولا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة.<sup>(5)</sup> ف"ابن باديس" في هذه المقالة يطالب وبشكل حذر بالاستقلال خوفا من بطش الاستعمار، وخوفا على مصالح جمعية العلماء المسلمين السياسية، ويوضح بأن رفض الاندماج ليس معناه العداء لفرنسا بل إن تعامل الشعب الجزائري معها مبني على الصداقة

<sup>1</sup> - الشهاب، ع118، م3، ص.356.

<sup>2</sup> - عبد الحميد بن باديس، الجنسية القومية والجنسية السياسية، في الشهاب، ج12، م12، فيفري1937، ص.505.

<sup>3</sup> - م ن ، ص.505.

<sup>4</sup> - م ن ، ص.504.

<sup>5</sup> - عبد الحميد بن باديس ، كلمة صريحة، في الشهاب، ج1، م12، أبريل1936، ص.44.

الصداقة، ولذا يجب عليها احترامه ومنحه جميع حقوقه" نريد منهم أن يحترموا ديننا ولغتنا ويحفظوا كرامتنا ويأخذوا بأيدينا في طريق النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهكذا نعيش وإياهم أصدقاء مخلصين." <sup>(1)</sup> ويخلص في مقالته هاته إلى:

1- إثبات كيان الأمة الجزائرية.

2- إثبات الوطن بحدوده الدولية المعروفة.

3- إثبات الشخصية المتفردة لهذه الأمة باللغة والدين والأخلاق. <sup>(2)</sup>

وقد أثارت كتابات "ابن باديس" في رفضه لسياسة الاندماج ردود فعل ساخطة وخاصة من الذين تربصوا به وبمركته وسعوا إلى شلها وفهموا من تصريحاته بأنه يحرض على الاستقلال، وفي مقال كان فيه صريحا وجريئا وضع نقاط المسألة على حروفها "لكن خصومنا، كما قلنا آنفا أرادوا أن يفهموا من كلامنا أننا نريد الاستقلال ورأوا أنهم يخرجوننا إذا وضعوا البحث على بساط الاستقلال حتى إذا زل بنا القدم فوق هذا البساط الأملس استنزلوا علينا نقمة الحكومة، وطلبوا أن نعامل معاملة الثائرين المهيجين وأن نذهب ضحية قوانين روي وما سبقها." <sup>(3)</sup> فمسألة الاستقلال عند ابن باديس هي حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ومن الممكن أن يصبح هذا الحق يوما ما في الجزائر "وليس من العسير بل أنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك إنكلترا مع استراليا وكندا واتحاد جنوب إفريقيا، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر." <sup>(4)</sup> وهذا نوع من الاستقلال الأولي الجزئي الذي كان يريده ابن باديس في منتصف الثلاثينات والذي يعكس مرحلة من مراحل ابن باديس في جهاده للوصول إلى الاستقلال التام والنهائي عن فرنسا. وهو تصور الإمام الأولي - أيضا - لمسألة ومبدأ الاستقلال ، وإن كانت نظرتة العميقة والبعيدة له ، تتمثل في أنه لا يمكن أن يتحقق من غير تحرير الشعب من قابلية للاستعمار ، المتجذرة فيه <sup>(5)</sup> .

وقد أثارت "الشهاب" التي كان يصدرها الشيخ ابن باديس والتي كانت تعكس فكره واتجاهه في السنوات

<sup>1</sup> - م. س.، ص. 45.

<sup>2</sup> - عبد الملك مرتاض أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1، ص. 377.

<sup>3</sup> - عبد الحميد بن باديس، حول كلمتنا الصريحة، في الشهاب، ج3، م12، جوان 1936، ص. 145.

<sup>4</sup> - عبد الملك مرتاض أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1، ص. 377..

<sup>5</sup> - عبد الرشيد زروقة ، جهاد ابن باديس ، ط 1 ، دار الشهاب ، بيروت ، 1999م ، ص. 158.

الأولى من صدورها مسألة الاندماج ودعت في مقال لها بعنوان "المساواة المساواة إن أردنا الاتحاد الحقيقي المثمر" إلى الاتحاد بين الشعبين الجزائري والفرنسي لكن على أساس المساواة الحقيقية "فالمساواة هي الشرط الأكيد لتحقيق الاتحاد المنشود".<sup>(1)</sup> ولحصول ذلك لابد من قطع الامتيازات التي تنال على أساس الجنس وليس على أساس الجدارة في العمل ويؤدي هذا الإجحاف في حق الأهالي إلى الإحساس بالظلم والحيف وعدم الشعور والافتقار بفكرة الاتحاد "ومادام المحروم من تلك الامتيازات يشاهد حرمانه مما أعطى لمساكنه لمجرد جنسيته فإن العوامل النفسية الطبيعية لا تدعه يكون من أهل الاتحاد الذي ندعوا إليه".<sup>(2)</sup>

وفي موضع آخر كتبت "الشهاب" مقالا بعنوان: "الاتحاد والاندماج" السياسة المنتجة، والسياسة العقيمة استهلته بما يربط الأمتين الجزائرية الأصيلة والفرنسية الطارئة وطوائف أخرى من شتات أوربا من أواصر الود ومواقف التناصر في السلم والحرب بالرغم مما يشوب هذه الروابط من إجحاف وظلم في حق الأمة الجزائرية، وأن هناك من الأمتين عقلاء يعملون لتقوية الاتصال بين الشعبين ويسعون لتوفير أسبابه، وانقسموا إلى قسمين: دعاة الاتحاد، دعاة الاندماج "فيرمي أولئك إلى محافظة الجزائري على جنسه ولغته وجميع مقوماته مع انضوائه مع أخيه الفرنسي تحت راية واحدة في مواطن الحياة ومواطن الموت، ويرمي هؤلاء إلى طرح جميع مقوماته واندماجه في الجنس الفرنسي... تلك سياسة الاتحاد، وهذه سياسة الاندماج ولكل أنصار".<sup>(3)</sup> ورأت الجريدة نجاح سياسة الاتحاد وعقم سياسة الاندماج، لأن ذلك مخالف لطبيعة الأجناس التي يمكنها التقارب والتعارف ويستحيل اندماجهما في بعضها لأن لكل شخصيته ومقوماته "ليس الترحيح بين إحدى السياستين بالأمر العسير، فإن المعقول من العلم والثابت من التاريخ، والمشاهد في الواقع، يقضي بعقم سياسة الاندماج وفشلها، ونجاح سياسة الاتحاد وإنتاجها...".<sup>(4)</sup>

فالخط العام في فكر ابن باديس السياسي هو رفض سياسة الاندماج جملة وتفصيلا لما في ذلك من خطر على الشخصية العربية الإسلامية في الجزائر وعلى هوية الشعب ومقوماته، وقابلية لصداقة فرنسا ما احترمت الشعب الجزائري واحترمت مقوماته فهو يرى أن "هذا الوطن الجزائري الإسلامي، صديق لفرنسا مخلص، وإخلاصه إخلاص

<sup>1</sup> - الشهاب، ع137، م3، ص.736.

<sup>2</sup> - م. س.

<sup>3</sup> - الشهاب، ع143، م3، ص.855.

<sup>4</sup> - م. س.، ص.856.

قلبي لا إخلاص ظاهري. يخلص لها إخلاص الصديق لصديقه لا إخلاص التابع لمتبوعه . فهو في حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته ، وتمهد له السبيل ليرتق ضمن دينه ولغته وأخلاقه ، وتسبغ عليه نعم الحرية والعدل والمساواة حتى يصبح في رقيه وحرثه وسعاده نموذجاً للإدارة الفرنسية والتعاون الأهلي الفرنسي . وتستطيع فرنسا أن تفاخر به الذين يتباهون بما عملوه في مستعمراتهم الحرة.<sup>(1)</sup> ومن ثمة فإنَّ الشيخ عبد الحميد بن باديس "لا يتصور مستقبلاً آخر للجزائر خارج نطاق العروبة والإسلام - وخاصة الإسلام - فالإسلام هو الذي تبنى عليه كل المقومات الأساسية لشخصية الشعب الجزائري - وهو يشكل مانعاً حصيناً لهذه الشخصية العربية الإسلامية- ضد كل تهديد سواء كان داخلياً أو خارجياً".<sup>(2)</sup>

ولتأكيد هذا الخط عاتب الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس دعاة الاندماج من الجزائريين الذين سعوا إلى إذابة الشخصية الجزائرية في الذاتية الفرنسية فوجه في مقال له لأحدهم وهو (فرحات عباس) ومن ينصره فكرة الاندماج عتاباً جاء فيه "كان هذا الرجل الأبي من أهدافنا في مقالنا : "كلمة صريحة". وهو الذي آخذناه عن مقاله "فرنسا هي أنا" وقلنا له ولمن معه إنكم عندما تسمعون لسياسة الاندماج ، وتحبذون التجنيس ، وترضون ضياع حقوقنا الإسلامية مقابل حق الانتخاب ، وتريدون - خلافا للطبيعة- أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهوراً فرنسياً بحتاً ، لا يختلف عن الجماهير الفرنسية في شيء. إنكم عندما تسعون وتحبذون هذا لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا. وإنكم في واد والأمة في واد آخر."<sup>(3)</sup> ففي مقال سابق لهذا المقال والموسوم ب "كلمة صريحة" هاجم الشيخ عبد الحميد بن باديس بشدة من تنكروا لوطنهم وقوميتهم ودعوا إلى الاندماج في فرنسا " قال البعض من النواب المحليين ، ومن الأعيان ، ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد ، إن الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة ، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة ، فتلغي جميع ما يحول دون تحقق الاندماج التام. بل لقد قال أحد النواب النابهين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر ؛ وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ؛ وأخيراً أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا

<sup>1</sup> - عبد الحميد بن باديس ، كلمة صريحة ، في الشهاب ، ج 1 ، م 12 ، ص 44.

<sup>2</sup> - تركي رايح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ط 5 ، المؤسسة الوطنية للاتصال ، الجزائر ، 2001م ، ص 256.

<sup>3</sup> - عبد الحميد بن باديس ، حول كلمتنا الصريحة ، في الشهاب ، ج 3 ، م 12 ، ص 142.

به يصيح : فرنسا هي أنا حقا أن كل شيء يرتقي في هذا العالم وينطور ، حتى التصوف ، فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين:

فتشت عليك يا الله وجدت روعي أنا الله

واليوم يقول المتصوف في السياسة :

فتشت عليك يا فرنسا وجدت روعي أنا فرنسا

فمن ذا الذي يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائري العصري على التطور والاختراع؟<sup>(1)</sup>

وقد كان لابن باديس ذرائعه في هذا العتاب " إننا لا نستجيز السكوت عنهم ، إذا رأينا منهم دعاية لتوسيع نطاق التجنس ، إذ في ذلك محاولة إضعاف الإسلام ، باختطاف الضعاف من بنيهم ، ومجاوزة لحدود النظر لأنفسهم ، بالإغراء لغيرهم."<sup>(2)</sup>

وككل نهائي لوضع حد فاصل لهذه القضية السياسية الخطيرة طلبت لجنة الفتوى في جمعية العلماء المسلمين والتي كانت تحت رئاسة الشيخ العربي التبسي من الإمام ابن باديس ، إصدار فتوى في حق التجنس و المتجنسين ، فكانت فتواه الشهيرة التي نشرت في جريدة البصائر ، السنة الثالثة العدد 95 في 14 كانون الثاني 1938م . ونصت على تحريم التجنس وتكفير كل مسلم جزائري يتنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي - من أجل الاندماج أو التجنس بالجنسية الفرنسية ، واعتباره ردة على الإسلام. وبها استطاع عبد الحميد بن باديس ورجال الحركة الإصلاحية من إفشال سياسة التجنس التي دعمتها الإدارة الاستدمارية بكل الوسائل والتسهيلات ، والإغراءات المادية والمعنوية ، وضرب هذا القانون وشل مفعوله في الواقع الاجتماعي والسياسي الجزائريين.

لقد رسم الشيخ عبد الحميد بن باديس لنفسه استراتيجية خاصة ومميزة في مقاومته للاستدمار لا تقوم على تجييش الجيوش المدججة بالسلاح وخوض المعارك النظامية أو حرب العصابات ، وإنما قامت على تنشئة الجيل المدجج بسلاح العقيدة والعلم والفضيلة ، المتمسك بهويته ، المعتز بدينه ، والمدافع عنها. فقد كانت معركته مع الاستدمار انطلاقا من المسجد بتدريس الكبار والصغار ، ثم من الصحافة والمدرسة والنادي والتجمعات والمؤتمرات واللقاءات ،

<sup>1</sup> - عبد الحميد بن باديس ، كلمة صريحة ، في الشهاب ، ج 1 ، م 12 ، ص 42.

<sup>2</sup> - عمار طالي ، ابن باديس حاته وآثاره ، ج 3 ، ص 264.

وكانت أكبر مكاسبه في هذا الحراك المقاوم تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي قصم بها ظهر سياسة المحتل في الجزائر ، لأنها التنظيم الإصلاحي الذي وقف حجر عثرة وحاجزا منيعا أمام المشاريع الاستعمارية الهادفة إلى طمس معالم الهوية والشخصية الوطنية.

وقد عكست كتابات ابن باديس وخاصة السياسية منها مواقفه من الاحتلال وسياسته وسبل مقاومتها ، واستراتيجيته في التغيير ، فالمقاومة السياسية عند ابن باديس لا تقف عند حدود المطالبة باسترجاع الحقوق الضائعة ، والسيادة المسلوبة ، بل تتجاوزها إلى أعمق من ذلك ، فهو يريد الوصول بمقاومته إلى استرجاع السيادة وتحقيق الحرية بجيل مؤمن متعلم فاضل ، يعرف كيف يحافظ على المكاسب المحققة ، ويشد عليها بالنواجد ، فلا يفرط فيها ، ولا يساوم عليها ، فيرقى بأمته إلى مصف الأمم المتقدمة ليكتب لها الخلود في عالم الناس.